

ملامح الهوية الوطنية في القصيدة النسوية الشعبية (بعض شاعرات الحضنة أنموذجا)

Features of National Identity in Women's Folk Poetry
(Selected Poets from the Hodna Region as a Case Study)

حنان غربي¹ عبد العزيز بوشاللق²

1 جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر) hanane.gherbi@univ-msila.dz

2 جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر) abdelaziz.bouchelaleg@univ-msila.dz

مخبر الشعرية الجزائرية بجامعة المسيلة

تاريخ النشر: 2025/11/20

تاريخ المراجعة: 2025/10/28

تاريخ الإيداع: 2025/10/01

ملخص:

العلاقة بين الشعر عموما والشعر الشعبي بالخصوص وبين الوطن علاقة تجاذب وتلازم؛ إذ يسكن الشاعر الإنسان وطنه ويسكن فيه، يتأثر ويؤثر فيه، تحزنه آلامه ومآسيه، وتبهجه أفراحه ومسراته، فينقلها إلى القارئ عبر جماليات اللغة بمختلف أساليبها وصورها في قالب فني متميز، يصوغ تلك الانفعالات في نص شعري جميل، ضمن بناء فني متفرد، ولا سيما حين تكون ذات الشاعر امرأة. لقد عبّرت الشاعرات عن حُبهن وتمسّكنهن الشديد بهويتهن الوطنية بلغة بسيطة خالية من الغموض والتكلف اللفظي، ليسكنن بذلك معجما خاصا، مترجما لمختلف المشاعر والأحاسيس تجاه هذا الوطن العزيز بآلامه وآماله، فالمرأة الشاعرة تفخر بانتمائها إليه وتعزّز بذلك، تمجّد ثورته التحريرية، تبكي على شهدائه، وتتغنى بمعامله ومآثره في قصائد نسوية شعبية تعكس صدق عاطفتها. الكلمات المفتاحية: الهوية، الوطن، الشعر النسوي الشعبي. منطقة الحضنة.

Abstract:

Abstract : The poem is bound to the homeland by a profound relationship of attraction and inseparability. The poet, being rooted in her land, is both influencing and being influenced by it, seared by its wounds and tragedies, and gladdened by its joys and celebrations. These sentiments are then shaped into a poetic text that rises upon the aesthetics of language, with its diversity of styles and imagery, within a unique artistic structure, especially when the poet's self is that of a woman. The female poets of the Hodna region have voiced their love and deep attachment to their national identity in a language that is simple, free from ambiguity and verbal affectation. In so doing, they have created a distinctive lexicon that conveys a wide spectrum of emotions and sentiments towards the beloved homeland, with all its pains and hopes. The woman-poet takes pride in her belonging, honours it, glorifies its struggle for liberation, mourns its martyrs, and sings of its landmarks and achievements in women's folk poems that embody the truest expression of her heartfelt emotions.

Keywords: national identity women's folk poems Hodna region.

* المؤلف المراسل.

1 - مقدّمة:

يترجم النصّ الشعري النسوي كغيره من النصوص الأدبي مشاعر إنسانية ويكشف قضايا اجتماعية و وطنية مبرزاً مدى تأثر وتأثير المرأة الشاعرة ومعايشتها كلّ رهانات مجتمعتها ووطنها، الذي تربطه بها علاقة وجدانية عميقة، تتجاوز المكان والجغرافيا لتصل إلى الروح والانتماء، فتصوّر لنا في أشعارها مدى حبها وشوقها وكيف تدافع عنه وتخلد بطولاته و تحكي مأساه. لذا تعدّ الهوية رابطاً قوياً ومتيناً بين أفراد المجتمع الواحد لتضمهم إلى بعضهم البعض، فبدونها يسود التفكك والانقسام، وليذوب الأفراد في هويات متعدّدة، ويحصل الضياع والتشتت.

كما يعدّ هذا النوع من الشعر مصدر الأمان والآمال، خصوصاً في الحروب أو الغياب، كما يجسد تجاربها الاجتماعية الشخصية والسياسية الوطنية؛ فالفرح في الوطن هو فرحنا جميعاً والحزن فيه حزننا ويؤثر فينا لأنه أرضنا التي تنبت منها جذور هويتنا وبه ترتسم معالم هويتنا وثقافتنا.

2 - مفهوم الهوية الوطنية:

يشكل مفهوم الهوية حلقة وصل بين كثير من المصطلحات (الحضارة والثقافة والقومية الجماعية والعرقية ..) ويتشعب في كثير من المجالات (السياسة، المجتمع، الأمن، الدين ...) وهي تتقاطع معهم عبر علاقات مختلفة " ويتداخل مفهوم الهوية مع الضمير الجمعي للأمة، ومع الهوية والثقافة، والهوية والحضارة، وهناك مصطلحات أخرى قد تتقاطع معها مثل مفهوم الوطنية والمواطنة، وكذا الإيديولوجية، وكلّها مصطلحات لها علاقة بمفهوم الهوية"¹. قد لا توجد حدود فاصلة تميّزه عن مصطلح الثقافة وفي هذا السياق يقول محمد العربي ولد خليفة " إن العلاقة بالثقافة تبدو أكثر وثوقاً، فهناك ما يقترب من التّطابق بين المفهوم الذي تحدّده للثقافة والمفهوم الذي تحدّده للهوية"²

يرى بعض المفكرين أن القومية ترجع إلى جذور ثقافية في المقام الأول، وعرقية عصبية في المقام الثاني، ومنهم المفكر Anthony D. Smith انتوني.دي سميث إذ يقول: " إن مكونات الأمم رمزية وثقافية قبل أن تكون ديموغرافية عرقية، والرموز هي اللّغة والأساطير والذكريات والقيم والتقاليد والعادات التي تتقاسمها جماعة ما تشعر بأنّها جذوراً مشتركة...تستحق أن تنعم بهوية واضحة"³ لعلّ ما يريد الوصول إليه هذا المفكر هو أنّ ملامح الهوية تتشكّل من التّراث التّراكمي والتّفاعلي للوحدات الثقافيّة واللغوية بين الأفراد، ومدى تأثيرها فيهم لتعبر عن وطنيتهم.

يرسخ مفهوم الهوية في أعماق مختلف المقولات المعرفية لأنه " يمتلك طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر"⁴ فعلى الرّغم ممّا يختص به المفهوم من تشعّب وتداخل نجده في الأخير ينفّث على العالم، ليكشف عن مكنوناته الفردية والجماعية التي تميّز كل مجتمع عن غيره بفضل تلك المميّزات والخصائص. ومما ورد كذلك في المصطلح ارتباطه بالوطن وما اصطلح عليه بتسمية الهوية الوطنية -وهو المصطلح المعتمد في الدراسة -إذ يتعلق الأمر بمجموعة معيّنة من البشر يحملون اسماً يُعرفون به، ويقطنون

رقعة جغرافية معينة، وينتمون إلى عرق غالب أو أعراق متعددة، انصهرت مع الزمن في بوتقة واحدة وكوّنت هوية مشتركة⁵.

استنادا إلى ما سبق من مصطلحات ومفاهيم لمعنى الهوية نصل إلى أنهما مجموعة القواسم المشتركة والسلوكات المتماثلة المتفق عليها من طرف أفراد الجماعة الواحدة، لتمييزها عن غيرها في مواقفها وردود أفعالها الموحدّة في قضاياهم المختلفة وعلى جميع الأصعدة.

3 - ارتباط اللغة بالهوية:

تمثل اللغة هوية الشعوب المعبرة عن ثقافتهم والجامعة لأفكارهم، فهي الوطن الذي ينتمون إليه، ويرتبطون ارتباطا وثيقا به، كما أنّها أداة التواصل الأولى ووسيلة التعبير عن خلجات النفس، لتصبح هي المتنفس عن كلّ مكبوت، وتبوح عن كلّ مسكوت، والشعر الشعبي هو أحد القوالب الفنية للغة، الذي يترجم فيه الشاعر الإنسان أحاسيسه وما يختلج في دواخله، ليترجمها في نظم شعري متميّز من الأبيات والقصائد، ويعالج بها - مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والنفسية والدينية، ولكن إذا كانت ذات الشاعر هي امرأة فقد تختلف لغتها ونظرتها لمختلف تلك القضايا السابقة، فهي كائن جميل جُبل على الإحساس المرهف والعاطفة الجياشة " وقد منحها قدرة الله الرقة والعدوبة، حيث اقتضت وظيفة الأمومة أن تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل وأسرع استجابة للمؤثرات العاطفية والوجدانية "⁶ فهي تميل بالفطرة إلى مشاعرها وقلوبها وتستخدم لغتها.

الشعر تعبير عن حالة لاوعي في عالم واع في الذات الإنسانية، والشاعر بقدر ما يعبر عن أحاسيسه ومشاعره تجاه الآخرين فهو يفصح عن مجموعة من الترسبات التي ملأت كيانه، ويساهم في إعادة التوازن لنفسه بعد أن تزعزعت جزء الآثار التي خلّفتها الوقائع والأحداث، لقد عبّرت المرأة الشاعرة عن همومها وانشغالاتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين بقوة "⁷ وهذا ما سنقف عنده بالدراسة والتحليل لبعض ما وصلنا من قصائد نسوية شعبية تعبّر فيه الشاعرات عمّا يدور من إحساس تجاه وطنهن وكيف عبّرن عن هويتهنّ.

4 - ارتباط الهوية بالذهب عند المرأة:

تجمع المرأة بالذهب والمجوهرات علاقة حبّ أبدية لا ينكرها أحد، فقد كان ولا يزال من أساسيات زينتها، والقريب من قلبها قبل جسدها، يكتسب أهمية بالغة في حياتها، وقد لا نبالغ إذا قلنا عنه المعبر عن هويتها، لذلك عبّرت الشاعرة ربعة بن يحي عن حبّها لوطنها بلغة نسوية صرفة -إن صحّ التعبير- تعكس هويتها وتجمع بين حبّها لقلبها ووطنها في قصيدة واحدة إذ تقول:

نَحْبُكِ حُبٌّ كَبِيرٌ نَقُولُهَا وَنُكْرَرُ	يَا وَطَنَ الثَّوَارِ عَنْكَ نَتَكَلَّمُ
الْجَزَائِرِ حُلِيِّ سَخَابِ الْعَنْبَرِ	فَوَاحَةِ وَالرَّيْحِ مِنْهَا يَذْمَمُ ⁸
الْجَزَائِرِ مَقْيَاسِ فِي إِيْدِي مَدَّوْرُ	لُجُوهَرِ وَمُاسِ مَزِينِلِي الْمَعْصَمِ ⁹
الْجَزَائِرِ خُلْخَالِ ذَهَبٍ مَعْيَرُ	مَوَاتِينِي لِمَاعِ عَالِصَاقٍ مُبَرَّمِ ¹⁰

الجزائر دَبْنُونُ عَلَى حَزَامِي دَايَرُ
كِي نَمْشِي الْخَزْرَاتُ عَيِّي تَتْرَاحُمُ¹¹
الْجَزَائِرِ حُلَيْتِي بِهَا نَفْخَرُ
وُنُولِي أَجْمَلُ مَرْأَةٍ فِي الْعَالَمِ¹²

تكرر لفظ الجزائر (وطن الثوار) مقترنا في كل مرة بنوع متميز من أنواع المجوهرات، فهي (السخاب) الذي يزين جيدها، معبّقا برائحة العنبر الجميلة، وهو ما قد يدلّ على الطبيعة الجميلة والهواء الصّافي النقيّ الذي نستنشقه في المساحات الخضراء الواسعة، والجزائر (مقياس) تتباهى به وبلونه الذهبي اللّماع وحجمه الكبير وكأنّها بهذا الوصف ترمز إلى مكانة بلادها وسيادتها بين البلدان، كما أنّ الجزائر (خلخال) وبصوته الرّنان تمشي واثقة الخُطى نحو التطوّر والازدهار بتكاتف الجهود، والتمسّك بالهوية الوطنية، والجزائر أيضا كالحزام الواحد (دبنون) الذي يضمّ كل أفرادها على اختلاف هويتهم المحلية فمنهم القبائلي والصحراوي والشّاوي والعربي، لكنهم في الأخير يجتمعون تحت راية وهوية وطنية واحدة.

استخدمت الشّاعرة لغة خاصّة متفردة بسيطة لا تمارسها إلا امرأة عاشقة لجوهرتها الأصيلة، وهي الوطن، تبدع في وصفه وقد "تكثر النساء من استعمال صفات الاستحسان مثل جذّاب وفاتن ورائع وجميل وحلو...."¹³ . نشهد في الأبيات السّابقة مثل هذه الصّفات (فواح، معير، لمّاع)، وهي بذكرها لكلّ هذه الصّفات تؤكد مدى حبّها وتعلّقها الشّديد بوطنها، وصدق الانتماء لهويتها الوطنية الجزائرية، ممّا لا يدع للشكّ نصيب في ذلك.

تفخر الشّاعرة في قصيدتها (لمسيلة مُيمّي) بهويتها المحليّة على وجه الخصوص، وتثور على من يحاول التّقليل من شأنها فتقول:

وَشُكُونُ لِي قَالَ لِمَسِيلَةَ دُوَارُ
شُكُونُ لِي سَبَّ لِعَزِيْزَةِ الْحُضْنَةِ¹⁴
قَالُو عَلَيْهَا مَعْمَرَةٌ بِالْغَبَّارِ
وَبِالطُّوبِ الْعَرَبِيِّ مَبْنِيَّةِ السُّكْنَةِ
عَلَاهُ عَلَيْهِمْ هَآذُ الْحُقْرَةِ وَالْعَارِ
لَآه حَنَايَا كُشْمَا عَلَيْهِمْ قُلْنَا؟¹⁵
بَنَتْ الْحُضْنَةُ رَايْحَةَ تَأْخُذُ بِالثَّارِ
وَتَجَاوِبُ عَلَيَّ تَعْدَى وَظَلَمْنَا
لِمَسِيلَةَ تَارِيخٍ وَمَعَالِمٍ وَأَثَارِ
لُظُرْكَ رَاهِي وَأَقْفَةَ تَشْهَدُ لَنَا¹⁶
حَتَّى بِالرُّومَانِ خَلَاوِ التَّذْكَارِ
وُلِقِينَاهُ فِي كُلِّ جِمَّةٍ كِي حَفَرْنَا¹⁷
وَزِدْنَا شَارِكُنَا فِي حَرْبِ اسْتِعْمَارِ
اسْتَشْهَدَ قَدَاهُ نَوَاحِدُ مَنَا
لِمَسِيلَةَ فِي الْفَنِّ مَوْهُوبِينَ كَثَارِ
قَدَاهُ نَوَاحِدُ مِنْهُمْ شَرَفْنَا
وُثَانِي أَمْرًا لِكِتَابَةِ لَشْعَارِ
بْنِ الزَّوَالِي وَزَيْدُ بْنِ عَيْسَى مَنَا

ترجم الشّاعرة حبها وصدق مشاعرها الثّائرة من أجل مدينتها، والدّليل على حبّها يبدأ من عنوان قصيدتها فتصغير لفظ (مُيمّي) يعكس ذلك " والتّصغير يطرأ على الاسم بزيادة ياء ساكنة تسمى ياء التّصغير، ومن أهم معانيه التّحبّب يستعين به الشّاعر لتصوير مشاعر وخلجات نفسه " ¹⁸ كما أنّها تتساءل في مطلع

قصيدتها باحثة عن سبب هذا الاستنكار (الحقرة) وتتوعد بالانتقام (بنت الحضنة رائحة تاخذ الثار) من كل ظالم معتد " فعندما تتسق الذات مع التجربة، وتنسجم داخلها فتتفاعل معها، وبذلك يصدر عنها كل الصّدق الانفعالي والتوهج العاطفي الذي لن يدع شكّا في وصولها إلى المتلقّي " ¹⁹.

تسترجع الشاعرة أمجاد مدينتها وسرعان ما تتحوّل إلى جندي يدافع عن وطنه في ميدان الشرف، وتتخذ اللغة والحرف سلاحا لها، وتواصل مسترسلة وبصيغة مباشرة الاعتزاز بمدينتها " فشعرية بعض النصوص تتحكّم فيها أساليب المباشرة وأفكارها الواضحة، رغم ما يتخلّلها من رموز " ²⁰

5 - ارتباط الهوية بالمكان:

تُشيد الشاعرة بمعالم ولايتها الأثرية والفنية كنوع من الانتقام الجميل، الذي يعكس طبيعتها، فهي تفخر بقلعة بني حمّاد ²¹ المشهورة في ولاية المسيلة (لظركا راهي واقفة تشهدلنا) وتفخر أيضا بالقامات الفنية في الولاية كما أطلقت عليهم لقب (أمراء كتابة الأشعار) وهما (بن الزوالي وبن عيسى) ²²، لقد عكست هذه القصيدة الشعبية صورة المجتمع وخصائصه الثقافية، مؤكدة على الانتماء والهوية.

تكمّن حلاوة الشعر الشعبي-النسوي خاصة- في سماعه من أفواه أصحابه، لأنك تتذوّق معانيه أكثر وتحسّ بصدق المشاعر وحرارتها " وإن كنّا لا نشعر بذلك إلا بنسبة محدّدة أثناء قراءتنا للنصوص، فإننا عندما نسمع لهذه النصوص من قبل أصحابها فإننا نتأثّر، وعند ذلك نتأكّد من صدق عواطفهم ونبليها وحرارتها " ²³ فتتعمق داخل التجربة وتعيش تفاصيلها، وهذا ما كانت عليه أغلب قصائد الشاعرات، فهنّ مثلا وإن لم يعشن سنوات الاحتلال، ولم يتجرعن مرارته فقد نظمن من تاريخ بلادهن ما يعكس ارتباطهن بهويتهن الوطنية، وتدرك الشاعرات حجم معاناة الأجداد والآباء إبان الثورة التحريرية، فمن ممّا ليس له قريب عاش أيام الاستعمار الغاشم، أو شهيد ضحّى بنفسه من أجل الهوية والحرية.

تقول الشاعرة سفار طي زهيرة:

اكتب يا تاريخ اكتب وسطر اكتب على بلادي بلاد لعربان
جزاير وطني بها نعتز ونفخر كلشي مدون ومسجل بالبيان
ريحة وطني تشمها مسك وعنبر والتاريخ صنعوه ذوك الشجعان
حب وطني نقول فيه ونجهز في بهاها بدع الخالق الرحمان
حروفي في قلبي وشام لا يتغير انت زهرة مغروسة وسط جنان

تستفتح الشاعرة قصيدتها بصيغة الأمر (اكتب) بل وتكرّر الطلب ثلاث مرّات في البيت الواحد، وهي تأمر التاريخ بالتدوين لبلادها الحبيبة (بلاد العربان) " جاء التكرار لتنشيط الانتباه عند المتلقي، ببعث الحيوة في الإشارة، على أساس أنّ إعادة الإشارة فيها إرجاع لرصيدا في ذهن المتلقي، إقامة للألفة بينهما " ²⁴ ثم تسترسل الذات في وصف وطنها والتباهي به، فهي تشم رائحته (مسك وعنبر) وما أجملها من روائح وعطور، وتجهز بالقول

لتفصح عن حبها، وهو عكس ما تجري عليه العادة من خجل المرأة في الأوساط الشعبية من التعبير عن حبها لكنها (حُبَّ وَطَنِي نَقُول فِيهِ وَ نَجْهَرُ) فمحبوها هو وطنها، وإذا كان الوشم رمزا أبديا دالا على جمال المرأة سابقا، ويرسم على وجهها فوشم الشاعرة طبع في قلبها (خُرُوفُكَ فِي قَلْبِي وَشَامٌ لَا يَتَغَيَّرُ) فتعبر بلغتها عن وشمها الذي لن يمحي ولن يزول.

تسترسل الشاعرة في قصيدتها لتستذكر أمجاد وطنها الغالي فتقول:

فَالرَّبْعَةُ وَخَمْسِينَ تَعَلَّاتِ اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى الْبَيْضَةِ قَالُوهَا ذُوكُ الْفُرْسَانِ
سَبْعَ سِنِينَ وَالْبَارُودُ عَلَيْهَا يَزْقَعُ اتَّحَزُّمُوا عَلِيمًا ازْجَالُ وَنُسَوَانِ²⁵
كَلِمَةً قَالُوهَا أَوْلَادُ نُوفَمْبَرٍ وَقَرَارَ جَيْمَةِ التَّخْرِيزِ ظَهَرُ وَبَانِ
مَنْ بَعْدَ لُعْمَرٍ مَا عَدْنَا مَا نَخْسَرُ وَعَزَّمُوا عَلَيْهَا فِي كُلِّ لَوْطَانِ
الْحَرِيَّةَ عَزَبْنَاهَا بِالْدَّمِ الْأَحْمَرِ صَوْتُ الرِّشَاشِ عَزَفُوهُ أَلْحَانِ

ترصد الشاعرة في أبياتها تضحيات (أولاد نوفمبر) من أجل وطنهم العزيز، فالمستمع لهذه الأبيات يتحسس قوة حماسها واعتزازها بهوية أبطال وطنها، ولا نشك في مشاعرها. فهذه الأبيات " تصدر عن عاطفة صادقة بالتأكيد ترفع بها لتصوير مشاعرها والتعبير عن إيقاع الأشياء والأحداث على نفسها ذلك أنه مهما كان الحدث ذاتيا لابد أن نجد له صدى واسعا"²⁶. وهذا ما يبدو جليا في الأبيات السابقة.

تقول الشاعرة في الأبيات الأخيرة من قصيدتها:

أَنَا مِيلَادِي 66 مَا حَضَرْتُ لِلْمُسْتَعْمَرِ قَرِيتُ التَّارِيخُ خَبَرَنِي عَلَى لَمَحَانِ
خَبَرَنِي عَلَى جِهَادِ ثَوْرَةِ نُوفَمْبَرِ وَدَمُ الشَّهِيدِ سَالِ سَوَاقِي وَيَدَانِ
مَهْمَا كَتَبْتُ لِقَلَامٍ وَمَهْمَا عَبَّرَ حَقِيقَةَ يَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهَا اللِّسَانِ

تدل هذه الأبيات على مدى اطلاع الشاعرة بتاريخ وطنها وبطولات الأحرار الذين استشهدوا في سبيل الحرية، وعلى وعي الشاعر الشعبي بالتاريخ، وهو وعي الإنسان بوجوده في حدود الإطار الزماني والمكاني الذي يعيش فيه.

6- دلالة الوعي الجمعي في الشعر الشعبي:

يتفاوت هذا الوعي باختلاف مكانة الإنسان في المجتمع ومستوى تحصيله العلمي والثقافي²⁷ وبشكل عام ومن خلال ما اطلعت عليه من قصائد نسوية شعبية، يمكن القول: إن المرأة في شعرها الشعبي قدّمت فهما بسيطا للأحداث التاريخية، دون تكلف أو تعمق في التفاصيل.

تنوّعت تجارب الشاعرات وتعدّدت سبل التعبير عن حبّهن للوطن، فمنهن من تغنّت بجماله وتباهت بعاداته وتقاليده، ومنهنّ من قدّست ثورته وبكت شهيدته، لكنهنّ يُجمِعن على معنى واحد هو تمسّكنّ بالهوية الوطنية، إلا أن الشاعرة شويحة الزهرة عبّرت بطريقة مختلفة لتحكي بحرقه وجع وطنها فتقول:

سَدَّ الْخَاطِرُ عَالِغَنِي مَا طَقْتُ نَقُولُ مَنْ لَمَحَانُ لِي بُعَيْنِي شَفَّنَاهَا²⁸

مَنْ ذَا لَوْفَتِ الشَّيْنِ عَنَّا نَاضُ الْهُولِ طَاحُ الْغَيْمِ عَلَى بِلَادِي غَطَّاهَا
فَقَدْنَا لَأَمَانَ وَدَرْنَا الْعُقُولَ شَاهَدْنَا حَالَاتٍ يُصْعَبُ نَسْيَاهَا²⁹

تعكس الأبيات الأولى من القصيدة الحالة النفسية وما تعيشه الذات من انكسار، فهي لم تعد تريد حتى الغناء (سَدُّ الخاطر، مَا طَقَّتْ) وسبب ذلك ما تعيشه بلادها من أحوال وأهوال، والذي يدلّ على ذلك هو تناثر من مفردات حزينة في الأبيات السابقة (لمحان، الوقت الشين، الهول، طاح الغيم، فقدنا لآمان، ودّرنا لعقول) وأصعب إحساس عند المرأة- خاصة- هو شعورها بعدم الاستقرار والأمان، فهي بدونها تعيش حالة من الضياع والشتات.

تتسأل الشاعرة في أبيات أخرى من القصيدة عن المسؤول فهي تقول:
يَا بِلَادِي وَيِنَاهُ عَلَى حَالِكُ مَسْؤُولٍ وَليَّ عَكْرُ مَاكُ خَوْضُ مَصْفَاهَا
سَاحُ الدَّمِ يَا خَاوْتِي مَا هُوَ مَعْقُولٍ وَلَادَتْ بَطْنَ فَرِيدٍ تُقْتَلُ بَعْضَاهَا³⁰
عُدْنَا كَالْأَفْغَانِ عَانَدْنَا كَابُولَ فُتْنَاهُمْ بِأُمُورٍ رَانَا دُرْنَاهَا
يَا بِلَادِي يَا غَالِيَةَ أَمْرُكَ مَجْهُولَ غَابَتْ شَمْسُ الْحَقِّ دَرَقَتْ بِضِيَاةٍ

سيطرت مشاعر الخوف والهلع على الذات فترجمتها أبياتا شعرية، تحاول التنفيس بها من خلال رصد واقع مرير معيش حيث تجرد الإنسان من كلّ القيم الإنسانية والدّينية، حيث قُتل معنى الأخوة لتسبح البلاد في بركة من دماء الفتنة وما يؤكد ذلك (خوض مصفاها، ساح الدم، ولادت بطن تقتل بعضها..) وبنبرة الحسرة والتفجع تنادي الشاعرة على بلادها التي غابت عنها شمس العدالة (يا بلادي، يا غالية، غابت شمس الحق..) ومهما نقلت لنا الشاعرة من صور للمآسي والأوجاع المريرة "فما يصلنا هو صورة الألم في لغة مجردة، فاللغة إن هي نقلت لنا صورة الألم فهي عاجزة عن إيصال الألم نفسه"³¹

ترفع الشاعرة قضية وطنها من الأرض إلى السماء فتقول:

يَا مَوْلى الْكِتَابِ وَاللَّفْظُ الْمَقْبُولُ فَكَّرْنَا بِأُمُورٍ كِدْنَا نَنْسَاهَا
يَا رَبِّي يَا خَالِقِي وَأَنْتَ مَسْؤُولُ فَرَجِ ذِي الْمَحْنَةِ وَخَفَّفْ قُضَاهَا

تختتم الشاعرة قصيدتها بالدعاء -ولعلها سمة بارزة في أغلب الأشعار الشعبية - بعد أن سلّمت أمرها وأمر وطنها إلى خالقها (يَا مَوْلى الْكِتَابِ، يا ربي، يا خالقي) فهي تدعو بصالح الأمور وعودة البلاد إلى سابق عهدها (فَكَّرْنَا بِأُمُورٍ كِدْنَا نَنْسَاهَا) وهي الأخوة والمحبة، التي تجمع شمل أبناء الوطن الواحد على هوية واحدة، وإن تفرقت منطلقا تهم واختلقت عاداتهم وتقاليدهم، فهم في النهاية شعب واحد، ينتمون إلى وطن واحد.

7 - خاتمة :

نتحسس نبيل وصدق عاطفة المرأة الشاعرة في التعبير عن حبها، وقوة الانتماء لوطنها العزيز بنظم قصائد تؤكد هويتها الحقيقية.

عالجت الشاعرات في قصائدهن أغلب القضايا المتعلقة بوطنهن ؛ فهي تستنكر وتذمّ المستعمر الغاشم ، وتفخر وتعزّز بشهداء ثورته المجيدة ، كما أنّها تتغنّى بجمال طبيعته الخلابة، وتتباهى بعاداته وتقاليده المميّزة، وقد وظّفت الشاعرات معجما شعريّا يمزج بين بساطة اللغة وقوة المعنى، فمفردات القصائد تكاد تخلو من الغموض والتكلف، لتعبر عن حبّها وتعزّز هويّتها الوطنية في نظم شعري يحمل كلّ معاني الفخر والانتماء. كما ترجمت شاعرات الحضنة تمسّكهنّ بالهوية الوطنية المترسّبة في أعماقهنّ إلى طاقات شعرية، تجعل من حبّ الوطن تجربة شعرية مميّزة، ينقلها بلغة تعكس طبيعتنّ العفويّة والتلقائيّة ومواقفنّ تجاه الوطن .

يزخر الشعر النسوي الشعبي بكلّ ما يجعل منه عالما واسعا يمكن الغوص في أعماقه لاستكشاف درره ومكوناته الفريدة والمميّزة، ولعل الهوية الوطنية إحدى درره المتميّزة.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ - مولاي أحمد: ملامح الهوية في السينما الجزائرية، أطروحة دكتوراه، إشراف بن نكاع بن ذهيبية، جامعة وهران، 2014/2013، ص 31.
- ² - محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 108.
- ³ - انتوني دي سميث: الرمزية العرقية والقومية مقارنة ثقافية، تر: أحمد الشبيبي، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 2004، ص 9-10.
- ⁴ - ضياء الدين زاهر: اللغة ومستقبل الهوية (التعليم نموذجا)، سلسلة أوراق، ع 24، مكتبة الإسكندرية (وحدة الدراسات المستقبلية)، 2017، ص 27.
- ⁵ - ينظر مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 261-264.
- ⁶ - محمد بدر معبدي: أدب النساء في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1983، ص 10.
- ⁷ - فاطمة حسين العفيف: لغة الشعر النسوي العربي المعاصر (نازك الملائكة. سعاد الصباح. نبيلة الخطيب نماذج)، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011، ص 125.
- ⁸ - السخاب: عقد طويل مصنوع من العود والعنبر والقرنفل تزين به المرأة والعروس في الأفراح والمناسبات، وتسمى أيضا العجينة.
- ⁹ - المقياس: سوار ذهبي عريض تضعه المرأة في معصمها للزينة.
- ¹⁰ - الخللخال: من وسائل الزينة القديمة عند المرأة تضعه في رجلها. الصاق مريم: الساق الممتلئة وهو دلالة على الجمال
- ¹¹ الدينون: وتعرف أيضا بالحمزة وهي سابقا مجموعة خيوط ملونة من الصوف تضعه المرأة على خضرها، ثم أصبحت قطع ذهبية في قماش القطيفة، ليتطور في زمننا هذا ويصبح من الذهب الخالص
- ¹² نولي: أصبح.
- ¹³ - سعد بوقلافة: اختلاف المستوى الذهني بين الشعراء والشاعرات، مجلة بونة للدراسات، ع 6، 2006، ص 82/81.
- ¹⁴ شكون: صيغة الاستفهام من؟
- ¹⁵ علاه، لاه، لماذا؟
- ¹⁶ لظركا: إلى حد الآن.
- ¹⁷ خلاؤ: تركوا.
- ¹⁸ - ديزيرة سقال: الصرف وعلم الصوت، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1996، ص 123.
- ¹⁹ - مي يوسف خليف: الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة غريب، القاهرة، دط، دت، ص 94.
- ²⁰ - ناصر معماش: النص الشعري العربي في الجزائر، مطابع دار آذار للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف الجزائر، دط، دت، ص 167. مو
- ²¹ للإطلاع أكثر ينظر: مونوغرافية ولاية مسيلة، مديرية السياحة لولاية المسيلة، دط، دت، ص 19/18.
- ²² للإطلاع أكثر ينظر: عبد الكريم قذيفة: انطولوجيا الشعر الملحون بمنطقة الحضنة - شعر الرواد-، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط2، 2007.
- ²³ العربي دحو: الشعر الشعبي والثورة التحريرية بدائرة مروانة (1955-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص 10.
- ²⁴ - عبد الله الغدومي: تشريح النص - مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة - المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2006، ص 36.
- ²⁵ يزقعر: صوت البارود يعلو مدويا.
- ²⁶ - مي يوسف خليف: الشعر النسائي في أدبنا القديم، مرجع سابق، ص 93.
- ²⁷ - ينظر: التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 100.
- ²⁸ ما طقت: لم أستطع.

²⁹ وَدَرْنَا: ضيعنا.

³⁰ ولادت: أبناء، فريد: واحد

³¹ - علي بولنوار: الشعر الشعبي الجزائري منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010، ص 32.

المصادر والمراجع:

- 1- ديزيرة سقال: الصرف وعلم الصوت، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1996.
- 2- محمد بدر معبدي: أدب النساء في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1983.
- 3- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.
- 4- مولاي أحمد: ملامح الهوية في السينما الجزائرية، أطروحة دكتوراه، إشراف بن نكاع بن ذهبية، جامعة وهران، 2013/2014.
- 5- مونوغرافية ولاية مسيلة، مديرية السياحة لولاية المسيلة، دط، دت، .
- 6- مي يوسف خليف: الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة غريب، القاهرة، دط، دت.
- 7- مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 8- ناصر معماش: النص الشعري العربي في الجزائر، مطابع دار آذار للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف الجزائر، دط، دت.
- 9- سعد بوفلاقة: اختلاف المستوى الذهني بين الشعراء والشاعرات، مجلة بونة للدراسات، ع 6، 2006.
- 10- عبد الكريم قذيفة: انطولوجيا الشعر الملحون بمنطقة الحضنة - شعر الرواد-، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط 2، 2007.
- 11- عبد الله الغدامي: تشريح النص - مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة - المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2006.
- 12- علي بولنوار: الشعر الشعبي الجزائري منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010.
- 13- العربي دحو: الشعر الشعبي والثورة التحريرية بدائرة مروانة (1955-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.
- 14- فاطمة حسين العفيف: لغة الشعر النسوي العربي المعاصر (نازك الملائكة. سعاد الصباح. نبيلة الخطيب نماذج)، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011.
- 15- التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- 16- ضياء الدين زاهر: اللغة ومستقبل الهوية (التعليم نموذجاً)، سلسلة أوراق، ع 24، مكتبة الإسكندرية (وحدة الدراسات المستقبلية)، 2017.
- 17- انتوني دي سميث: الرمزية العرقية والقومية مقارنة ثقافية، تر: أحمد الشبيبي، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 2004، ص 9-10.